أساس الاقتباس
فى المنطق

ألفه بالفارسية

نصير الدين الطوسى

الجزء الأول

ترجمه إلى العربية

العالم التركى **منلا خسرو**

حققه وقدّم له وراجعه

الدكتور حسن الشافعى　　الدكتور محمد السعيد جمال الدين

الإخراج الفني والتنفيذ:

صبري عبد الواحد

«بسم الله الرحمن الرحيم»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فينبغي أن نقدم لترجمة «أساس الاقتباس» للطوسي بكلمة عن الطوسي المنطقي ومكانة كتابه هذا بين أعماله المنطقية، ومزاياه الخاصة. ثم نتبع ذلك بكلمة أخرى عن «المولى خسرو» وترجمته لهذا الكتاب التي هي موضوع التحقيق. ثم نختم هذه المقدمة ببيان المنهج الذي اتبعناه في تحقيق الكتاب.

أولا: الطوسي المنطقي وكتابه اساس الاقتباس

١- الدراسات المنطقية في عصره

لعل من المعروف أن المنطق كان أكثر أجزاء التراث الفلسفي الإغريقي إثارة لاهتمام المسلمين، فقد عني به النقلة الأوائل ثم توفر على دراسته المشتغلون بالفلسفة وخاصة الفارابي وابن سينا، وأقبل عليه جمهور المثقفين حتى استثناه الغزالي من حملته القاسية على الفلسفة[١]، بل حاول أن يرد أشكاله وموازينه إلى القرآن الكريم، وتحمس له قائلا: «لا أدعي أني أزن بها المعارف الدينية فقط بل أزن بها العلوم الحسابية والهندسية والطبيعية والفقهية والكلامية، وكل علم حقيقي فإني أميز حقه عن باطله بهذه الموازين»[٢]، وقدم لكتابه: «المستصفى» في أصول الفقه بمقدمة منطقية فتابعه أكثر الأصوليين بعده.

وقد اطردت العناية بعد ذلك بالمنطق خلال القرن السادس الهجري كما نجدها لدى «الرازي» في: «المباحث المشرقية» وغيرها من كتبه، ولدى أبي البركات في الجزء الأول من «المعتبر»، ولدى السهروردي الإشراقي في العديد من مؤلفاته. حتى جاء القرن السابع فزادت

---

(١) انظر المنقذ من الضلال، ص١٥٠ - ١٥١.

(٢) القسطاس المستقيم، ضمن مجموعة «القصور العوالي»، ص ٦٠، انظر أيضا ٦٩.

تلك العناية وكاد المنطق يصبح جزءا ضروريا من العلوم الدينية نفسها : كالكلام وأصول الفقه. ويشير صاحب مفتاح السعادة إلى أن متأخرى المتكلمين «لما رأوا أن علمهم هذا لا يستغنى عن القواعد المنطقية... عمموا موضوع العلم المذكور وجعلوا موضوعه «المعلوم» المتناول للموجود الخارجى، والموجود الذهنى الذى هو موضوع علم المنطق». (١)

ونجد مصداق هذا لدى الآمدى - أحد كبار المتكلمين فى ذلك القرن - إذ يورد فى مفتتح كتابه «الأبكار» فصولا فى «الحجج والأدلة» تتضمن أشكال القياس الأرسطى الأربعة. (٢)

كما نجد ابن الحاجب يورد أبوابا فى المنطق ضمن كتابه المشهور فى أصول الفقه «منتهى الوصول والأمل فى علمى الأصول والجدل» (٣). بل لقد عده بعضهم كما يقول كبرى زاده: «من فروض العين لكونه موقوفا عليه معرفة الواجب - تعالى - وهى واجبة فكذا ماتتوقف عليه.. حتى حكم بعض من الحكماء الإشراقية أن رياضة الصوفية وسلوكهم تدور أيضا على المنطق» (٤). ويقول ابن سبعين الفيلسوف المتصوف المتوفى سنة ٦٦٩هـ: «وصناعة المنطق هى الأصل فى تحصيل العلوم والمعلومات، ولا سبيل لمعرفة شىء دون صناعة المنطق» (٥).

وقد قدم لنا القرن السادس مناطقة متخصصين عرفوا ومازالوا معروفين إلى اليوم بإنتاجهم المنطقى ومن أبرزهم:

١- الآمدى سالف الذكر الذى عرض للمباحث المنطقية فى كتبه الفلسفية العامة - كشرح الإشارات وغيره، وألف فى هذا العلم كتبا خاصة منها الجزء الأول من «دقائق الحقائق» الذى يعد من أهم الكتب وأوسعها بعد منطق الشفاء للشيخ الرئيس. (٦)

٢ - ومنهم أثير الدين الأبهرى الذى كان على صلة بالطوسى، ويعد كتابه «الهداية» - كحكمة العين للكاتبى - من أكثر الكتب الفلسفية المختصرة شهرة وذيوعا فى القرون اللاحقة، وقد أفرد للمنطق كتابه «تنزيل الأفكار فى تعديل الأسرار» (٧).

٣ - ومنهم نجم الدين الكاتبى تلميذ الطوسى ورفيقه فى مرصد مراغة وصاحب «حكمة العين»، وقد أفرد للمنطق كتبا عدة مايزال بعضها يدرس فى الجامعات الدينية إلى اليوم

---

(١) مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده (٣٢٤/١).

(٢) انظر أبكار الأفكار (٣٤/١ب) وما بعدها.

(٣) انظر غاية المرام فى علم الكلام - تحقيق ودراسة - القسم الأول ص٥٨ ومفتاح السعادة ٣٢٥/١.

(٤) مفتاح السعادة ٣٢٥/١.

(٥) «ابن سبعين وفلسفته» رسالة الدكتورة للدكتور التفتازانى من آداب القاهرة سنة ١٩٦١م، ص٨٦.

(٦) انظر تنويه ابن تيمية بكتبه المنطقية فى «جهد القريحة» - الملحقة بصون المنطق والكلام للسيوطى ٢٢٤/٢، وما سيأتى عنه بعد قليل.

(٧) انظر معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة، ط دمشق ١٩٦٠، ٣١٥/١٢.

«كالرسالة الشمسية»[1]، والكشف وشرح الكشف، وجامع الدقائق. وقد كان أحد أعلام المناطقة فى هذا القرن كما نوه بذلك «شمس الدين الشهرزورى» فى نزهة الأرواح».[2]

ولكن ليس معنى هذا أن المنطق لم يواجه مقاومة كسائر العلوم الفلسفية فقد أصدر الفقيه الشافعى «ابن الصلاح الشهرزورى» فى أوائل ذلك القرن فتواه الشهيرة ضد المنطق والفلسفة والمشتغلين بهما مما كان له دور فى نكبة الآمدى فى أخريات حياته، ولكن يبدو أن هذه الفتوى لم تكن بالغة الأثر فى المحيط الثقافى بصفة عامة.[3] كما ظهر ابن تيمية فى أخريات هذا القرن عدوا لدودا للفلسفة الإغريقية بعامة والمنطق بصفة خاصة إلا أن عمله كان تقييما نقديا لهذا المنطق أكثر منه رفضا كاملا له[4].

٢- الطوسى واهتمامه بدراسة المنطق

أ - حياة الطوسى:

ولد المحقق نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسى عام ٥٩٧ هجرية فى أسرة تشتهر بالعلم من أنصار مذهب الشيعة الإثنا عشرية، ودرس ببلده «طوس» على أبيه، وجيه الدين محمد أحد فقهاء الإمامية ومحدّثيهم، علوم الدين كالفقه والحديث ثم اشتغل بطوم الأدب واللغة على شيوخ عصره، ومال بعد ذلك إلى دراسة العلوم الفلسفية على يد خاله نور الدين على بن محمد، كما عنى بالعلوم الرياضية فدرسها عند كمال الدين محمد الحاسب.

ثم انتقل بعد ذلك إلى نيسابور، مدينة العلم والثقافة فى عصره، حيث اتصل بكمال الدين بن يونس المصرى ومعين الدين سالم بن بدران المصرى الذى قرأ عليه «غنية النزوع إلى علمى الأصول والفروع» وأخذ منه إجازة بالرواية عنه عام ٦١٩هـ. وهو يروى أيضا عن كثير من علماء أهل السنة والشيعة.

وقد عاد إلى بلاد فارس فى هذه الظروف المضطربة التى صاحبت موجات الغزو المغولى على شرق العالم الإسلامى فاضطر إلى الإقامة لدى ناصر الدين المحتشم بمنطقة قوهستان الخاضعة لنفوذ أمراء الإسماعيلية النزاريين حتى اجتاحها هولاكو فى حملته على إيران عام ٦٥٤هـ فخرج معه إلى بغداد وشهد سقوطها فى يد المغول سنة ٦٥٦هـ، وكان له بعد ذلك دور لا بأس به فى محاولة الحفاظ على الثقافة الإسلامية ومؤسساتها حيث ظل يعمل كوزير للأوقاف فى ظل الحكم المغولى. وقام بإنشاء مرصد مراغة - الذى يشبه أن يكون

---

(١) شرحها قطب الدين الرازى - وحققها مع الشرح المذكور الأستاذ محمد عبدالرحمن بيصار أستاذ المنطق وعلم الكلام بأصول الدين بالأزهر وطبعت بمصر.

(٢) انظر مفتاح السعادة الذى اقتصر فى عد أهم المؤلفات المنطقية على كتب الأبهرى والكاتبى ١/ ٢٥٠، وانظر نزهة الأرواح للشهرزورى- النسخة المصورة بمكتبة جامعة القاهرة جـ٢ ل ٢٩٦ ب.

(٣) انظر «الفلسفة الإسلامية» - بالإنجليزية - الصادر عن مؤتمر لاهور ص٤٦.

(٤) انظر نصار: موقف المدرسة السلفية من المنطق وعلم الكلام - رسالة دكتوراة - بمكتبة كلية أصول الدين، ص ٢٠ وما بعدها.

جامعة للدراسات العقلية والدينية، وظل على ذلك إلى أن توفى فى بغداد عام ٦٧٢ هـ وله من العمر ٧٥ عاما.

ويعد الطوسى واحدا من أبرز علماء المسلمين فى الفلك والرياضيات والهندسة والطب وسائر العلوم العقلية من فلسفة ومنطق وأخلاق بالإضافة إلى كتاباته فى العلوم الدينية وخاصة فى علم الكلام حيث كتب واحدا من أبرز الكتب فى أصول المذهب الإثنا عشرى وهو «تجريد الاعتقاد». ويعتبره مؤرخو العلم - كسارتون وغيره - واحدا من أعظم عباقرة التاريخ لجهوده الفلكية والرياضية.

أما عن دراسته للمنطق وعنايته به ومكانته بين علمائه فسنفرد لذلك الفقرة التالية.

ب - الطوسى والدراسات المنطقية:

وقد عنى الطوسى عناية خاصة بدراسة المنطق فدرس مبادئه مع خاله وهو أستاذه الأول فى الفلسفة ثم على الشيخ «محمد حاسب»، وتعمق فيه على يد أستاذه الحقيقى فى الفلسفة «فريد الدين الداماد» الذى درس عليه كتاب الشيخ الرئيس «الإشارات والتنبيهات»(١) وعنى بدراسة منطق «الشفاء» وغيره من مؤلفات الشيخ الرئيس، وسنرى العلاقة الوثيقة بين الشفاء وأساس الاقتباس فيما بعد. وقد حرص على أن يطلع بنفسه على المنطق عند واضعه الأول أرسطو وشراحه القدماء مستعينا بما نقله المترجمون الأوائل، ثم لدى الفلاسفة المسلمين قبل ابن سينا، ثم عند ابن سينا نفسه، ثم عند المناطقة اللاحقين حتى القرن السابع سواء كانوا من أنصار ابن سينا أو ناقديه.

وقد جاءتنا لحسن الحظ النصوص التى تدل على ذلك، ففى أثناء مناقشة بين الطوسى والشهرستانى حول «الألفاظ المقولة بالتشكيك» يدعى الشهرستانى أنها ليست «فى منطق الحكماء وأنها من مخترعات ابن سينا» فيرد عليه الطوسى قائلا: «هذا الكلام يدل على عدم وقوف هذا القائل على ما فى منطق الحكماء وإلا لوقف على كلام المعلم الأول»(٢).

ثم يأسف لعدم وجود المراجع بين يديه عند كتابة ذلك، ويقول بعد ذلك «وقد وقع لى بعد تسوية هذا المختصر بعض كتب المنطقيين فوجدت فى «التعليم الأول» - كتاب طوبيقيا - فى المقالة الثانية - ماهذه عبارته .. » ثم يورد عبارة أرسطو فى هذه المسألة وهى قريبة مما جاء فى الترجمة العربية القديمة لمنطق أرسطو التى نشرت منذ سنين فى القاهرة (٣). ولكن فى المقالة الأولى لا الثانية. وهو لا يكتفى بتحديد موضع النص الذى ينقله من كتاب أرسطو بل يحدد لنا النسخة التى ينقل عنها وأنها من «نقل يحيى بن عدى عن التعليم الأول»(٤).

---

(١) انظر روضات الجنات للخوانسارى، ص ٥٨٢.

(٢) مصارع المصارع، ل ٢٧ ب.

(٣) انظر منطق أرسطو ٢/٤٩٦ - ٤٩٧.

(٤) انظر مصارع المصارع ل ٢٨ أ، وفى شرح الإشارات أيضا ٣/٧٦٦ ينقل الطوسى عن كتاب الطوبيقا لأرسطو بشأن المواضع الجدلية.

كما ينقل الطوسى أيضا نصوصا عديدة عن «التعليم الأول فى مواضع كثيرة من كتابه «شرح الإشارات» فى المقولات والقضايا والقياس وغيرها من المسائل (١)».

وبالنسبة للشراح فإن الطوسى يورد نصا آخر مطولا فى المسألة نفسها نقلا عن «تفسير متن الإيساغوجى من كلام فرفريوس (٢)»، ويشير فى «شرح الإشارات» إلى تعريف أرسطو فى التعليم الأول للقضية المطلقة «واختلاف كل من «ثاوفرسطس وثامسطيوس» ومن تبعهما فى تفسيرها عن «الإسكندر الأفرديسى» ومن تبعه» (٣)، وفى مواضع أخرى يشير إلى آراء شراح أرسطو ومفسريه واختلافاتهم ويوازن بينهما (٤).

ثم ينتقل إلى الفارابى فيورد له نصوصا عديدة فى مسألة الأسماء المشككة قائلا: «وقال من المتأخرين أبو نصر الفارابى فى كتابه المقولات... وقال فى كتاب البرهان... وأيضا فيه... وقال فى كتاب المغالطات... وقال أيضا فيه «(٥)، إلى أن يقول «فلولا مخافة التطويل لأوردت أكثر مما أوردته من كلام الحكماء المتقدمين على ابن سينا فى هذا الباب ولكن فيما أوردته كفاية»(٦).

كما ينقل عنه فى عدة مواضع من شرح الإشارات ويصفه بـ «الحكيم الفاضل أبو نصر»(٧).

أما بالنسبة لابن سينا نفسه فنجده ينقل عن الشفاء فى مواضع عدة(٨) كما يعتمد على كتب أخرى للشيخ الرئيس ككتاب «الحكمة المشرقية» ويرد على الرازى قائلا «هذا حاصل كلامه المتعلق بهذا البحث ولولا مخافة التطويل لأوردناه بألفاظه»(٩). وقد عرفنا فى الفصل الأول من الدراسة السابقة إلمامه الواسع بكتب الشيخ الرئيس ورسائله المنطقية وغيرها.

أما فيما يخص المناطقة بعد ابن سينا فإنه يورد آراء عديدة «للقاضى الساوى صاحب البصائر» ويناقشها معارضا لها فى أكثر الأحيان(١٠) كما فعل مع أبى البركات البغدادى (١١)، ومع الرازى والشهرستانى؛ فقد ناقش الأول ورد عليه فى الجزء الأول من شرح الإشارات، وتعقب الثانى فى انتقاداته لابن سينا فى بعض المسائل المنطقية وغيرها فى كتاب «مصارع المصارع» كما سلفت الإشارة، وهو نفس موقفه فيما يبدو من أثير الدين الأبهرى إذ ألف

---

(١) انظر شرح الإشارات ١/ ١٧٠، ١٩٢، ٢٣١، ٢٣٧.
(٢) مصارع المصارع، ل ٢٨ ب.
(٣) شرح الإشارات ١/٣١٥.
(٤) المرجع نفسه ١/٣١٥.
(٥) مصارع المصارع ل ٢٩ أ.
(٦) المرجع نفسه ٢٩ ب.
(٧) شرح الإشارات ١/٣٧٣، ٣٧٦.
(٨) انظر شرح الإشارات ١/٢٨٨، ٣٣٥.
(٩) شرح الإشارات ١/٢٢٨.
(١٠) المرجع نفسه ١/٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٤٠١، ٤٥٢، ٤٦٧.
(١١) السابق ١/٢٣٩، والنص التالى ص ١٣١.

«تعديل المعيار» نقدا لكتابه «تنزيل الأفكار» كما نقل بعض آرائه فى شرح الإشارات دون تعقيب.(١).

أما الكاتبى فبينه وبين صديقه وأستاذه الطوسى مطارحات ومراسلات حول مسائل عدة بعضها منطقى(٢)، وعدد كلام الطوسى على قياس الخلف فى شرح الإشارات يورد رأى الشيخ أفضل الدين محمد بن حسن النرقى المعروف بالكاشى ولا يعقب عليه بشىء(٣). وهكذا نجد أن الطوسى قد ألم إلماما طيبا بإنتاج المناطقة المسلمين من جاء منهم قبل ابن سينا ومن جاء بعده.

٣ - مؤلفاته المنطقية

أما إنتاجه فى هذا العلم فقد حاول إحصاءه كثير ممن ترجموا له من القدماء أو تتبعوا إنتاجه من المحدثين لاسيما الباحثان الإيرانيان السيد مدرس رضوى والسيد مدرس زنجانى وهى:

(١) **أساس الاقتباس** وهو أهم مؤلفاته المنطقية وأكبرها، وقد ألفه بالفارسية وسنتحدث عنه تفصيلا فيما بعد.

(٢) **تجريد المنطق**: وهو متن مختصر باللغة العربية لأهم مسائل المنطق ويجرى فيه على نسق «أساس الاقتباس» ولكن فى تسع فصول بدلا من تسع مقالات، ولا يمتاز إلا بالعبارة الدقيقة الموجزة التى عرف بها الطوسى فى كثير من مؤلفاته(٤)، وقد ألفه عقب خروجه من قلاع الإسماعيلية وانضمامه إلى بلاط «هولاكو» فى شعبان سنة ٦٥٦هـ كما سجل فى آخر بعض النسخ(٥). وقد ذكر السيد/ مدرس رضوى أنه توجد منه نسخة نفيسة كتبت فى حياة المصنف سنة ٦٦٥هـ بالمكتبة الوطنية الملكية بطهران(٦)، ومن أهم شروح هذا الكتاب شرح العلامة الحلى تلميذ الطوسى الذى أسماه «الجوهرالنضيد» وقد طبع المتن والشرح مع عدة حواش أخرى عليهما فى طهران سنة ١٣١٠هـ. وتوجد نسخة خطية من المتن والشرح فقط بدار الكتب المصرية برقم ٥٧٨ منطق. وقد حصلنا على صورة منها، كما توجد نسختان أخريان بمكتبتى طلعت وتيمور ونسخة رابعة بمكتبة الأزهر بالقاهرة برقم ١٤٣٦ عام و ٥٦٢٧٨ حسنين باشا.

---

(١) شرح الإشارات ٣٨١/١.

(٢) انظر أحوال وآثار لمدرس رضوى ص ١٠٤.

(٣) شرح الإشارات ٥٠٦/١.

(٤) انظر طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة، ط الهند ٢٦١ والنسخة الخطية لهذا الكتاب من شرح الحلى بمخطوطات دار الكتب المصرية رقم ٧٨ منطق.

(٥) انظر سركذشت للأستاذ محمد زنجانى ص ١٦٣.

(٦) أحوال وآثار، للأستاذ رضوى ص ٢٤١ وكان الزنجانى يذكر أنها نسخت فى أواسط رمضان سنة ٦٥٦هـ. انظر سركذشت ص ١٦٣.

(٣) رسالة المقولات أو قاطيغورياس: ألفها بالعربية ورتبها على عشرة فصول، وقد نص الأستاذ الزنجانى ومدرس رضوى على أنها ترجمة دقيقة للمقالة الثانية من «أساس الاقتباس» وعلى أنه توجد لها نسخ عديدة فى إيران[١]، وقد كانت المقولات من بين أجزاء المنطق الأرسطى موضع عناية وانتقاد فى ذلك العهد، وكانت مدار واحد من الأسئلة الأربعة التى وجهها فردريك الثانى إلى علماء المسلمين، وأجاب عنها عبد الحق بن سبعين[٢] وغيره.

وقد ناقش الآمدى الأشعرى حصر المقولات فى عشرة واعتبره موضع شك ومؤاخذة[٣]، ومن المعروف أنها تعرضت من قبل لمثل ذلك النقد[٤] فلعل هذا هو السر فى إفراده لها فى رسالة خاصة وقيامه بنفسه بترجمتها عن أساس الاقتباس.

(٤) تعديل المعيار فى نقد تنزيل الأفكار:

وهو نقد للكتاب الذى ألفه فى المنطق أثير الدين المفضل بن عمر الأبهرى أحد مشاهير الحكماء فى القرن السابع، ومن أكبر تلاميذ الرازى، المتوفى بعد عام ٦٦٠هـ[٥]، بعنوان «تنزيل الأفكار فى تعديل الأسرار» وقد أشار الطوسى أنه ألفه بعد وفاة الأبهرى إذ يترحم عليه فى المقدمة قائلا: «أما بعد فإنى لما تصفحت كتاب الفاضل أثير الدين - رحمه الله - المسمى «بتنزيل» الأفكار الذى قصد فيه تحرير ماأدى إليه أفكاره واستقر عليه رأيه... وذكر فيه فساد بعض الأصول المشهورة، أردت أن أبين ما سنح لى من الرد والقبول على بعض مآخذه»[٦]... وتوجد منه نسخة نفيسة كتبت فى حياة الطوسى سنة ٦٦٦هـ[٧]، بالمكتبة الوطنية الملكية بطهران، وتوجد نسخ أخرى فى غيرها، ولهذا الكتاب أهمية خاصة من حيث الطابع النقدى الذى يتسم به والذى يشاركه فيه الجزء الأول من «شرح الإشارات» وقد تعرض الطوسى فى هذا الكتاب الأخير - ولعله آخر مؤلفاته المنطقية - لبعض آراء الأبهرى بالنقد كما سبق أن أشار إلى ذلك وتبادل معه بعض الرسائل حول قضايا فلسفية هامة، وكان بينهما تقدير واحترام متبادل[٨]. ولم يتيسر لنا مطالعة هذا الكتاب لمقارنته بأساس الاقتباس.

(٥) هذا ما تقتصر عليه المراجع فى تعداد كتبه المنطقية ولكن ينبغى أن يعد من بينها شرحه للقسم الأول «من الإشارات والتنبيهات» الخاص بالمنطق، وهو على وجازته

---

(١) انظر سركذشت للأستاذ محمد زنجانى ص ١٦٤ وأحوال وآثار ص ٢٦٧.

(٢) انظر مقدمة الدكتور بيومى مذكور لكتاب المقولات من منطق الشفاء ط القاهرة، وابن سبعين وفلسفته للدكتور التفتازانى ص ٨٥.

(٣) انظر الأبكار له ٢/٢٩٩ب.

(٤) انظر المقاومات للسهروردى نشرة كوربان ص ١٧٤.

(٥) انظر معجم المؤلفين ١٢/ ٣١٥ط ١٩٦٠ بدمشق وأحوال وآثار ص ١٠٤ - ١٠٥.

(٦) نقلا عن أحوال وآثار ص ٢٥٥

(٧) أحوال وآثار ص٢٥٦ أما ماورد فى سركذشت ص ١٦٤ من أنها كتبت سنة ٦٥٦ فغير ممكن لأن الأبهرى كان حيا فى ذلك التاريخ.

(٨) انظر أحوال وآثار ص ١٠٥، ٢٨٣، ٢٨٥.

بالنسبة إلى «أساس الاقتباس» يمتاز بالمناقشات واللمحات النقدية التى اقتصد الطوسى فيها كما اشترط على نفسه - فى أساس الاقتباس[1]. وقد أوردنا آنفا مواضع من ذلك الشرح نعرض فيها لآراء أكثر المناطقة بعد ابن سينا كالساوى والبغدادى والأبهرى والرازى وغيرهم، وقد طبع بالقاهرة وغيرها عدة مرات.

(٦) وقد وجدنا فى مجلة معهد المخطوطات بالجامعة العربية م٢ سنة ١٩٦٠م ج٢ ص ٣٣١ أنه توجد مجموعة رسائل منسوبة للطوسى فى المنطق ضمن مجلد يضم كتابه «تجريد المنطق» وكتابه «تعديل المعيار» أيضا مع كتب أخرى لغيره بالمكتبة الوطنية الملكية بطهران تحت رقم ٥٩٢٥ مما قد يوحى بأن تلك الكتب المنطقية شىء مغاير للكتب والرسائل التى سبق وصفها هنا.

وإذا شئنا أن نرتب هذه الكتب زمنيا ولو على وجه التقريب أمكننا أن نقول:

١ـ لعل أولها هو: شرح الإشارات: فرغم انتهائه منه عام ٦٤٤هـ كما نص على ذلك فى عدة نسخ خطية[2] أى بعد انتهائه من أساس الاقتباس، إلا أنه قضى فى تأليفه قرابة عشرين عاما كما قال هو فى الجزء الأخير منه[3]، والمنطق هو أول أقسام الإشارات فمن الطبيعى أن يكون ذلك فى وقت مبكر ولعل اشتغاله بشرح هذا القسم من الإشارات دعاه إلى أن يؤلف كتابا خاصا يحمل اسمه فى المنطق، وأن يكون باللسان الفارسى لا بالعربى الذى ألف به «شرح الإشارات» خدمة لأبناء قومه الذين لا يعرفون العربية أو لا يجيدونها فألف لهم أساس الاقتباس عملا بما دعا إليه طلاب الحكمة من «القيام بشكر نعمة الحكمة بالنهوض لأداء ماقتبسوه منها إلى غيرهم من أبناء النوع بحسب الاستعداد - دون شوائب البخل والمنافسة والمطل والمضايقة»[4].

٢ - ويعد «أساس الاقتباس» هو الكتاب الثانى فى سلسلة مؤلفاته المنطقية إذ أنجزه فى سنة ٦٤٢هـ.

٣ـ ومن الواضح أن «رسالات المقولات» لاحقة على ذلك الكتاب فهى ترجمة لإحدى مقالاته . غير أنه من الصعب تحديد تاريخ تأليفها على وجه التعيين.

٤ـ ثم تجديد المنطق: الذى ألفه فى عام ٦٥٦هـ

٥ـ وربما كان آخر مؤلفاته المنطقية جميعا هو نقده لكتاب الأبهرى الذى ألفه فيما بين سنة ٦٦٠ أو سنة ٦٦٣هـ وهو تاريخ وفاة الأبهرى فى قولين للمؤرخين وسنة ٦٦٦هـ التى نسخت فيها إحدى نسخ الكتاب الباقية إلى اليوم.

---

(١)انظر أساس الاقتباس ط طهران ص ٣.
(٢) انظر مقدمة أساس الاقتباس لرضوى ص (يب).
(٣) شرح الإشارات ٣/٧٩٦.
(٤)أساس الأقتباس ط طهران ص ٢.

أما الرسائل التى أشرنا إليها آنفا فتحتاج إلى فحص لمعرفة هويتها وتاريخ تأليفها.

٤ـ أساس الاقتباس وخصائصه

يعد كتاب «أساس الاقتباس»[١] أكبر مؤلفاته المنطقية وأهمها، إذ أن رسالة المقولات قطعة منه والتجريد يشبه أن يكون اختصارا له، أما شرح الإشارات وتعديل المعيار فهما موجزان بالقياس إليه، وإن امتازا بالحوار النقدى الذى لم يخل منه «أساس الاقتباس» فى بعض المواطن أيضا.

وقد أتم الطوسى تأليف هذا الكتاب ـ كما ورد فى ختام عدة نسخ خطية فى سنة ٦٤٢هـ، أى عند الإسماعيلية، ولعله آخر ماأنتجه فى الفترة الأولى من حياته بينهم حيث كان ينعم باستقرار وحرية نسبية لدى أصدقائه ومحبيه من أمراء قهستان، وقبل أن ينتقل فى العام التالى مباشرة إلى عاصمة الإسماعيليين، ولذا فنحن نجد فاتحة ذلك الكتاب تكاد تخلو من التقاليد الإسماعيلية التى نلاحظها فى الكتب المذهبية التى ألفها فى المرحلة اللاحقة من تمجيده للإمام ودعوته الهادية، فهو بعد دعاء جميل لطلاب الحكمة أن يؤيدهم الله «بإلهام الحق، وتلقين الصدق، ويصرف هممهم إلى طلب الكمال وتحرى الصواب واقتناء الفضيلة... «وتحذيره إياهم» من التظاهر بالكمال ومن التحدث والتعصب والإعجاب والصلف والبغى والسفه والعناد... يدعوهم لأن يكونوا ثابتى القدم فى ملازمة الدين القويم والصراط المستقيم حتى يبلغوا نهاية مقصدهم وليست إلا الحلول فى جوار الحضرة الأبدية والوصول إلى جناب العزة السرمدية»[٢] ومن العبارات الأخيرة قد نشتم رائحة الجو لإسماعيلى.

وقد اجتهد الأستاذ رضوى فى بيان سر تسمية المؤلف لكتابه بـ «أساس الاقتباس»[٣] وهو ينتهى إلى ماصرح به الطوسى نفسه فى فاتحة كتابه: «ولما كان علم المنطق بالنسبة إلى العلوم الأخرى ـ وخاصة أقسام الحكمة ـ بمثابة القاعدة والأساس (= بنياد) سميت هذا المجموع «بأساس الاقتباس»[٤] وهو يشرح ذلك كما يبدو من الفصل الأول من المقالة الأولى حيث يتحدث عن موضوع المنطق ومبادئه ومسائله[٥] على أن استعمال كلمة «الاقتباس» بمعنى التعلم أو اكتساب المعرفة الجديدة والاستنتاج العقلى نجده عند الغزالى فى «القسطاس المستقيم»[٦]، وعند ابن تيمية فى «درء تعارض العقل والنقل»[٧] ، وهو المعنى الذى استعمله

---

(١) يوجد بهذا العنوان كتب لاعلاقة لها بكتاب الطوسى هذا فقد أشار حاجى خليفة فى المجلد الأول من كشف الظنون ص ٧٤، إلى مختصر فى الأدب والحكم ألفه ضياء الدين بن ضياث الدين الحسينى سنة ٨٩٧ هـ وقد نشر هذا الكتاب بالقاهرة سنة ١٣٢٣هـ بنفس العنوان.

(٢) أساس الاقتباس ط طهران ص ٣.

(٣) انظر المقدمة ص (كا).

(٤) نفس المصدر ص ٣.

(٥) انظر أساس الاقتباس ط ايران ص ٣ ومابعدها.

(١) انظره ضمن مجموعة القصور العوالى ص٣٥.

(٢) المخطوط بدار الكتب المصرية جـ٤ ل ١٥٧ أ.

فيه الطوسى أيضا فيما أوردناه من نصوص فى فاتحة كتابه هذا إذ يدعو طلاب الحكمة إلى نقل ماقتبسوه - أى تعلموه - منها إلى أبناء النوع، فالمنطق إذن هو «أساس الاقتباس» أو «علم التعلم، وهو علم فى نفسه وآلة لتحصيل غيره من العلوم فى الوقت نفسه»(١)، «إذ تعرف به كيفية اكتساب المعارف والتصرف فيها للتأدى الى معارف أخرى»(٢).

هذا عن تسمية الكتاب وظروف تأليفه ومكانته بالنسبة إلى مؤلفات الطوسى المنطقية أما عن قيمته وخصائصه الذاتية فنتبين فيما يلى:

١ـ يعد الكتاب من أوسع الكتب المنطقية التى خلفها أسلافنا وأوفاها بمباحث هذا العلم. وإذا كان الأستاذ رضوى يقول عنه إنه عديم المثل والنظير فى نفاسته وقيمته، وإنه أكبر وأجمع كتاب ألف فى متن المنطق بعد منطق الشفاء (٣)، فنحن نسلم له هذا الحكم فيما يتعلق بالمؤلفات الفارسية طبقا لما قرره هو بعد ذلك مباشرة «أنه لم يؤلف فى اللغة الفارسية فى هذا العلم مثل ذلك الكتاب من حيث التحقيق والبسط والشمول كما أنه من أسبق الكتب فى هذه اللغة أيضا بعد الحكمة العلائية للشيخ الرئيس»، أما فى العربية فربما كانت هناك كتب أكثر منه استفاضة وشمولا، ومنها كتاب «دقائق الحقائق» لسيف الدين الآمدى الذى يدل المجلد الوحيد الباقى منه على ذلك، اذ يقع فى ٢٤٠ لوحة أى ٤٨٠ صفحة، وهو أحد مجلدين كبيرين خاصين بالمنطق من هذا الكتاب الكبير الجامع للمنطق والطبيعيات والإلهيات(٤).

ولذا نكتفى بالقول: إن أساس الاقتباس من أنفس الكتب المنطقية وأكبرها وأكثرها إحاطة بمباحث هذا العلم.

٢ـ كما أنه من المؤلفات التى تقتفى أثر ابن سينا وخاصة فى كتابه الشفاء على نحو ما، وتلك سمة بارزة فى الكتاب؛ إذ يرتبه على تسع مقالات يختص كل منها بقسم من أقسام المنطق كما استقر أمره عند العرب والمسلمين وهى على النحو التالى «الأولى فى المدخل إلى المنطق أو إيساغوجى، والثانية فى المقولات أو قاطيغورياس، والثالثة فى الأقوال الجازمة أو بارى أرمنياس والرابعة فى علم القياس أو أنا لوطيقى الأولى، والخامسة فى البرهان أوأنا لوطيقى الثانية، والسادسة فى الجدل أو الطوبيقا، والسابعة فى المغالطة أو السوفسطيقا، والثامنة فى الخطابة أو الريطوريقا، والتاسعة فى الشعر أو البوطيقا»(٥). وهذا صنيع ابن سينا فى الشفاء تماما. أما أرسطو فلم يكن يعد الخطابة ولا الشعر من الكتب المنطقية وإنما هو من عمل «فرفريوس الصورى»(٦). وقد التزم الطوسى هذا التقسيم التساعى فى «تجريد المنطق»

---

(١) شرح الإشارات ٦٧/١.

(٢) أساس الاقتباس مد طهران ص ٥ وفى شرح الإشارات يسخر من هؤلاء الذين يختلفون فى كون المنطق علما ١٦٨/١

(٣) نفس المرجع ص (ب من المقدمة).

(٤) انظر ل٢أ، ب من النسخة المصورة من الأصل المخطوط بمكتبة جامعة برنستون بأمريكا رقم ٧٦٤٣٥.

(٥) انظر مقدمة أساس الاقتباس مد طهران وأحوال وآثار ص ٢٤٠ .

(٦) انظر مقال الأهوانى فى المجلد ٣ عدد يوليو ١٩٦٥ من تراث الإنسانية عن منطق الشفاء.

وعرضه فى رسالته فى «أقسام الحكمة»[1]، وهو تقسيم لم يكن ملتزماً بصفة دائمة، فالفارابى يقسمه ثمانية أجزاء مهملا مدخل «فرفوريوس» ومبتدئا بالمقولات، وأبو البركات فى المعتبر تكلم عن المنطق فى الجزء الأول فى ثمانية مقالات، لا تسع[2]، كما أن «الكاتبى» فى «الرسالة الشمسية» أيضا لا يلتزم تقسيم ابن سينا[3].

وقد نلاحظ أن الفصول فى مقالات الكتاب تتوالى فيها على النسق الذى نجده فى برهان الشفاء لا على نسق برهان أرسطو كما يبدو لمن يقارن بين النصوص الثلاثة، كما أنه يتابعه فى الكثير من آرائه ويدافع عنه ضد خصومه وناقديه، وربما تابعه فى بعض الأمثلة التوضيحية أيضا[4]. والطوسى يصارحنا فى مقدمة كتابه قائلا: «إنى سأضمنه طرفا صالحا مما استفدته فى هذا الفن من أهل العلم بالمنطق واستنبطته بحسب قواعد وأصول أهل هذه الصناعة»[5]. وقد فطن إلى هذا المترجم التركى الذى نقدم اليوم جزءاً من ترجمته إذ قال فى وصفه: «قد انطوى على درر الشفاء ولبابه بلا قصور، بحيث لم يبق فيه إلا الأصداف والقشور»[6] والسيد رضوى فى مقدمته لنشرة طهران ينص على ذلك أيضا[7].

٣- غير أن الطوسى لم يفقد استقلاله الفكرى أو شخصيته العلمية فلقد ناقش ابن سينا نفسه وخالفه فى بعض الأحيان فهو يخالفه فى معنى التعليم الذهنى مثلا[8]، وهو يورد فى مسألة تربيع الدائرة رأى كل من أرسطو وشراحه وابن سينا ويناقشها جميعا لينتهى إلى رأى خاص[9].

وقد يورد فصولا بأكملها لا نجدها فى برهان الشفاء وذلك كالفصل الرابع من الفن الأول الخاص بالعلل وأقسامها، والطوسى يصرح بأنه يعلم أنها ليست من مسائل هذا العلم إذ هى جزء من الطبيعى - ولكنه يذكرها هنا على سبيل المصادرة[10]، وكالفصل الذى يتحدث فيه عن «أحوال الفصول» من الفن الثانى ويعتبره من أهم مباحث الحد[11] وينص فى نهايته

---

(١) مخطوطة بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة برقم ٤٥٢ حكمة وفلسفة.

(٢) المعتبر جـ ١ ص ٤.

(٣) انظر تحرير القواعد المنطقية وهو شرح الرسالة الشمسية ص ٣.

(٤) انظر أول الفصل الثالث من الفن الأول ل ٢٥٢.

(٥) أساس الاقتباس ط طهران ص ٣.

(٦) النسخة المصورة لترجمة ملا خسرو لأساس الاقتباس ل ٢.

(٧) أساس الاقتباس - المقدمة ص (بط)

(٨) النص التالى، ص٨

(٩) انظر ترجمة المقالة الخامسة ل ٢٩٦.

(١٠) نفس المصدر ل ٢٥٥. ولكن عمر ابن سهلان الساوى قد سبقه إلى إيراد مبحث العلل ضمن البرهان فى «البصائر النصيرية» ص ٣٤٩ - ٣٥٧.

(١١) ترجمة أساس الاقتباس لوحات ٣١٣ - ٣١٧.

على أنه أتى به من علم آخر إلى هذا الموضع لفائدته فيه كما أنه لم يهمل المناطقة المتأثرين بابن سينا والمعارضين له، فهو يشير إلى بعض آرائهم ويناقشها ويرد عليها أو يتخذ موقفا وسطا يكمل فيه قول ابن سينا بأقوال ناقديه كما نجده فى ختام مباحث الحد مثلا. ولذا فإن المولى خسرو والذى سبق أن ألمح إلى تأثره بابن سينا فى الشفاء يقرر فى مقدمة ترجمته أن الكتاب «بحر مواج زاخر حالٍ بأفكار المتقدمين والمتأخرين»(١).

ولكن الطوسى لم يكثر من هذه المناقشات والمقارنات بين آراء المناطقة فى «أساس الاقتباس» وفاء بما اشترطه على نفسه فى مقدمته من «الاحتراز عن إبطال المذاهب الباطلة فى كل باب بقدر الإمكان إذ هو مؤد إلى الإطناب»، فإن مست الحاجة فى بعض المواضع الى ذكر مذهب فاسد اقتصرت على إشارة موجزة»(٢). وهذا يسلمنا إلى الميزة الرابعة لهذا الكتاب.

٤- وهى أن الاقتصاد فى عرض الخلافات هيأ له التوفر على المسائل المنطقية نفسها وإيضاحها دون إسراف فى المناقشات الجدلية والمؤاخذات الخلافية، ولاشك أن هذه ميزة حقيقية إذا انضم إليها سهولة العبارة ودقة التنسيق وهذا ما ينوه به الأستاذ رضوى ويعتبره من خصائص هذا الكتاب(٣) إذ تفسح المجال للعرض العلمى الموضوعى الذى يحقق حاجة طلاب المعرفة الفلسفية الذين ألف الكتاب من أجلهم، ولعل هذا هو السر فى انتشار الكتاب والاقبال عليه لدى الفرس بل خارج العالم الفارسى أيضا. كما يقرره الأستاذ رضوى والمولى خسرو فى مقدمته للترجمة(٤) التى جاءت بدورها بالغة الوضوح والسلاسة رغم صعوبات الترجمة ودقة الموضوع.

٥- أن الطوسى يكثر من الألواح والجداول التوضيحية فى كتابه(٥) - ولعله فى ذلك متأثر بنزعته الرياضية - وسيجد القارئ نموذجا من ذلك فى المقالة الخامسة فى مبحث العلل من القول الأول، وهى طريقة معروفة من قبله وفى عصره(٦)، ولكنه يكثر من استخدامها بشكل واضح كما يكثر من استخدام الأمثلة الرياضية. وعلاقة المنطق بالرياضة وثيقة وعريقة ولاتزال مستمرة(٧). ونحن نجد فى منطق أرسطو أمثلة رياضية لبعض أنواع القضايا

---

(١) انظر ترجمة أساس الاقتباس ص ٢ وروضات الجنات للخوانسارى ص ٥٧٩.

(٢) أساس الاقتباس ط طهران ص ٣.

(٣) السابق ص (ب).

(٤) السابق ص (ب) وترجمة ملا خسرو لأساس الاقتباس ص ٢.

(٥) انظر مثلا فى طبعة طهران صفحات ١٠٩، ١١٠، ١٢٧، ١٥٠، ١٥٢، ١٨١، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢١١، ٢٢٣، ٢٤٨، ٢٥٧، ٣٢٣، ٣٥٤.

(٦) انظر البصائر النصيرية ص ١٠١، ١٠٢، ١١٦، والرسالة الشمسية للكاتبى ١٦٨، ١٧٠، ١٧٤، ١٧٦.

(٧) انظر المنطق الحديث ومناهج البحث لأستاذنا الدكتور محمود قاسم ص ٦ - ١٥، ٢١ ومقدمة للمنطق تأليف ألفرد تارسكى ترجمة دكتور عزمى إسلام ط القاهرة سنة ١٩٧٠ ص ١٥ - ٢١، ٣٨ ومابعدها.

والأحكام كمثال تربيع الدائرة الذى سبقت الاشارة إليه آنفا، غير أن الأمر الذى لايخلو من دلالة أن يهتم الطوسى اهتماما خاصا بذلك المثال ويورد فيه أقوال أرسطو وابن سينا ويعقب على ذلك برأيه الشخصى[1]، ومن يقرأ المقالة الخامسة مثلاً يجد أمثلة هندسية ورياضية لا نجدها فى برهان أرسطو أو برهان الشفاء ينقلها الطوسى أحيانا من كتاب إقليدس أو يتمثل هو بها [2] وإن كنا نجد إلى جانبها أمثلة طبيعية وطبية كثيرة[3] وأمثلة كلامية أيضا [4]، ولا غرو فالطوسى فيلسوف متكلم وعالم رياضى وطبيعى أيضا.

٦- إن الكتاب يؤكد أن اتخاذ المنطق الأرسطى صيغة للتفكير لم يحل دون ظهور النزعة الحسية التجريبية والروح الواقعية التى يتسم بها الفكر الإسلامى بصفة عامة، وإذا كان الطوسى يتابع فى هذا نزعة بدت إلى حد ما عند ابن سينا نفسه، واتضحت لدى بعض المناطقة من بعده كأبى البركات البغدادى[5] وعمر بن سهلان الساوى فى البصائر النصيرية كما لاحظ الشيخ محمد عبده فى حواشيه على ذلك الكتاب[6] وعند الإمام الغزالى كما يلاحظ ذلك الأستاذ الدكتور محمود قاسم، فإننا نجد هذه الروح واضحة أيضا لدى الطوسى فى كتابه هذا وفى غيره من كتبه، والنص الذى بين أيدينا شاهد على ذلك.

ثانيا: منلا خسرو وترجمته لاساس الاقتباس

(١) منلا خسرو وحياته العلمية:

ولما كانت هذه أول ترجمة عربية لهذا الكتاب تقدم للباحثين فمن الواجب أن نعّرف بمترجمها التركى، الذى دفعه تقديره للطوسى وكتابه، وتلبيته لرغبة سلطانه الجليل، إلى القيام بها فنقول : هو محمد بن فرامرز بن الخواجه على الشهير بمولانا خسرو أو منلا خسرو، وكان أبوه أميراً تركمانيا [7]. وتقول دائرة المعارف الإسلامية إنه ابن نبيل فرنسى دخل فى الإسلام [8]، وقد ناقش الأستاذ على همت فى كتابه «العامل العثمانى أبو الفتح السلطان محمد الثانى»[9] ذلك بأنه وجد بخط المولى خسرو نفسه على بعض كتبه «أنا الفقير محمد بن فرامرز بن على»، على أن كلمة فرامرز فارسية ومعناها «فاتح البلاد» فكيف يقال إنه فرنسى الأصل أو إنه مسيحى الأصل؟

---

(١) انظر ص ١٢ فيما سبق .

(٢) انظر اللوحات ٥٧٣، ٢٥٥، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٧٩، ٢٨٠ من ترجمة ملا خسرو.

(٣) السابق ل ٢٦٧، ٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩١، ٣١٢.

(٤) السابق ل ٢٥٤ مثلا.

(٥) انظر مقدمة فى الفلسفة العامة (٣٢٢) ومابعدها ومقدمة كتاب الخيال للأستاذ الدكتور قاسم - من منشورات معهد الدراسات العربية بالقاهرة.

(٦) انظر البصائر النصيرية ص ٢٦١، ٢٦٨، ٢٧٢، ٢٧٨.

(٧) الشقائق العثمانية ١٨٢/١، وريحانة الأدب ١٣٥/٢

(٨) دائرة المعارف الإسلامية - الترجمة العربية - حرف الشاء وكلمة «ملا» تعنى الأستاذ أو العالم أو رجل الدين.

(٩) ص ١٠٢، ١٠٣ وانظر درر الحكام لمنلا خسرو ط القاهرة ١٣٠٤ هـ ٢/ ٤٥٣.

وقد كانت لأبيه بنت زوّجها لأمير تركماني آخر يسمى خسرو ونشأ مولانا في حجره فغلب عليه اسمه، ولايعرف تاريخ مولده. وقد توفى سنه ٨٨٥ هجرية الموافق لسنة ١٤٨٠م.

وقد تلقى العلوم الإسلامية وبرع فيها، ومن شيوخه مولانا برهان الدين حيدر الهروى المفتى فى البلاد الرومية ومن تلاميذ سعد الدين التفتازانى، ثم عمل مدرساً بمدرسة (شاه ملك) بمدينة «أدرنة، ثم انتقل إلى مدرسة يرأسها أخوه تعرف بـ «المدرسة الحلبية» وذاع صيته فاختاره السلطان مراد لتعليم ولده «محمد الفاتح»[١]، فتوثقت صلته بالفاتح منذ ذلك الحين، حتى إنه عندما تولى أمور السلطنة فى حياة أبيه جعل المولى خسرو قاضيا للعسكر المنصور، فلما اضطربت الأمور وانفض عن الفاتح أعوانه ورجاله أصر هوعلى ملازمته، فلما كلمه الفاتح فى ذلك قال «إنّ المروءة أن يشارك الرجل صاحبه فى الدولة والعزل فأحبه السلطان محبة عظيمة»[٢].

ولما عاد السلطان إلى تولى أمور الدولة - بعد وفاة أبيه - أكرمه إكراما عظيما وجعل له فى كل يوم مائة درهم وولاه قضاء العسكر ثم قضاء القسطنطينية وماحولها مع التدريس فى مدرسة «أيا صوفيا»، ولكنه غاضب السلطان مدة لكونه قدّم عليه المولى(الكورانى) فذهب إلى «بروسه» سنة ٨٦٧هـ، وأنشأ بها مدرسة درس فيها بنفسه حتى استدعاه السلطان سنة ٨٧٤هـ ليجعله المفتى الأكبر لدولته أو شيخ الإسلام، فظل فى هذا المنصب حتى توفى قبل وفاة السلطان بعام واحد، فحمل جثمانه الى «بروسة» حيث دفن فى مدرسته[٣].

وقد عرف طول حياته بالانصراف إلى العلم ومواصلة الاشتغال به برغم ماتولاه من مناصب فلم ينقطع يوما عن الاطلاع والكتابة كما يروى طاش كبرى زاده[٤].

وكان عالما عاملا محققا معروفا بالورع مشهودا له حتى من منافسيه، قيل للشيخ الكورانى يوما «إن الشيخ أبا الوفاء يزور المولى خسرو ولا يزورك فقال: أصاب فى ذلك لأن المولى خسرو عالم عامل تجب زيارته، وإنى إن كنت عالما لكنى خالطت السلاطين فلا يجوز زيارتى»[٥].

وكان مع ثرائه الواسع شديد التواضع أخذ على نفسه عهدا أن يخدم نفسه بنفسه وكان يلبس الملابس البسيطة ولكن له هيبةً ووقارا بالغين، وكان الفاتح يقدره ويباهى به الوزراء فى المحافل ويقدمه عليهم، ويقول لهم «انظروا هذا أبو حنيفة زمانه»[٦].

---

(١) محمد الفاتح/ دكتور سالم الرشيدى ط الحلبى بمصر سنة ١٩٦٦ ص ٢٦٥.
(٢) المصدر نفسه
(٣) مفتاح السعادة ٢/٦١.
(٤) مفتاح السعادة ٢/١٦ والشقائق النعمانية له أيضا ١/١٨٥.
(٥) الشقائق ١/١٤٨.
(٦) المصدر نفسه ١/١٨٤.

أما إنتاجه العلمى فقد خلف عدة كتب فى الفقه والأصول كالغرر وشرحه، ومرقاة الوصول وشرحه مرآة الأصول وقد طبعت فى مصر والآستانة[1] ورسائل أخرى وعدة حواشٍ فى التفسير والبلاغة وغيرها [2]، وكان له مع ذلك اشتغال بالعلوم العقلية حتى برع فى المعقول والمنقول[3] إلى الحد الذى يصفه السيوطى بقوله:

«وكان إماما بارعا مثقفا محققا نظارا طويل الباع راسخ القدم»[4] وقد انعكست نزعته العقلية فى بحوثه الفقهية فقد أصدر فى عام ٨٧٣هـ كما يقول صاحب كشف الظنون: «رسالة فى الولاء، ذهب فيها مذهبا فى الولاء خَرّجه من أقوال الفقهاء وخالف فيه سائر العلماء وقرره فى «غرره ودرره»، وكتب فى رده رسالة المولى أحمد بن إسماعيل الكورانى المفتى المتوفى سنة ٨٩٣هـ، ثم أجابه المولى خسرو وزيّف أقواله فى رسالة أخرى، وردها أيضا المولى خضرشاه، وفيه رسالة للمولى قاضى زاده ورسالة فى الرد على الخسروية لمحمد بن موسى الكدنانى المتوفى فى ذى الحجة سنة ٩٩٥»[5].

وهكذا أثارت عليه نزعته العقلية وتحرره فى النظر الفقهى ثائرة العلماء فى عصره وبعد عصره ولكن ذلك لم يمنع تلميذه السلطان الفاتح أن يستدعيه من «بروسه» بعد هذا التاريخ ليتولى منصب الإفتاء ومشيخة الإسلام.

بل يذكر لنا أحد الباحثين فى تاريخ السلطان الفاتح أنه قد وكل إلى المولى خسرو الإشراف على مجمع من العلماء لتقنين الشرع الإسلامى ووضع الأنظمة اللازمة للدولة من بين آراء الفقهاء المسلمين وخاصة الأحناف، وقد نهض بهذه المهمة وأنجزها[6].

(٢) نسبة الترجمة إلى مثلا خسرو

ولكن أحدا من مترجميه - فيما اطلعنا عليه من مراجع - لم يذكر بين مؤلفاته وأعماله العلمية «ترجمته لأساس الاقتباس» للطوسى وإن كانوا جميعا لا يقصدون حصر هذه الكتب وإحصاءها، ومن أقدمهم طاش كبرى زاده، وهو باحث تركى له عنايته الخاصة بالكتب والمؤلفات، فقد أورد أسماء عدة مؤلفات له فى مفتاح السعادة وفى الشقائق النعمانية، ثم يقول «وله غير ذلك أيضا»[7]، فلعل هذا الكتاب من بين ماأهمل تعيينه وخاصة أنه لم يؤلفه بل قام

---

(١) انظر ريحانة الأدب ١٣٥/٢ ومعجم المطبوعات العربية ص ١٧٩٠

(٢) انظر الشقائق ١٨٦/١- ١٨٧ ومفتاح السعادة ٦١/٢- ٦٢ ودائرة المعارف الإسلامية المجلد الثامن ص ٣٣٩ حرف الخاء النسخة المترجمة، وبروكلمان ٢٦٢/٢.

(٣) انظر الأعلام للزركلى ط٣ جـ٧ ص ٢١٩

(٤) محمد الفاتح، للدكتور الرشيدى ص ٢٦٥ نقلا عن «نظم العقيان» للسيوطى

(٥) كشف الظنون، ط استانبول ٥٦٩/١ وانظر درر الحكام ٣٦/٢.

(٦) انظر السلطان «محمد الفاتح» - فاتح القسطنطينية «للدكتور محمد صفوت عباس نشر دار الفكر العربى ١٩٤٨م ص ١٨٧- ١٨٨.

(٧) انظر الشقائق النعمانية ١٨٧/١.

بنقله إلى العربية فحسب، ولكن الأمر المقطوع به - كما يبدو من النسخة التى عثرنا عليها بمكتبة «شيخ الإسلام حكمت» بالمدينة المنورة تحت رقم ٨٩ منطق وهى مكتبة زاخرة بإنتاج العلماء الأتراك وقد حصلنا على نسخة مصورة منها وعليها اعتمدنا فى هذا التحقيق - :

أن المترجم هو رجل من رجالات الدولة العثمانية وعلمائها، وأنه كان قريب الصلة بالسلطان الفاتح الذى طلب إليه القيام بتلك الترجمة لكى يسهل عليه شخصيا دراسة الكتاب والإفادة منه، لأنه وإن كان عارفا بالفارسية إلا أنه أكثر إجادة للعربية، إذ يقول المترجم فى لوحة البسملة بعد الحمد والصلاة: «أما بعد فإن من القضايا المقررة أن شرف الإنسان إنما هو بالعلم والعرفان، والمعتبر فيهما هو ما يحصل بالنظر والاكتساب والمتكفل ببيان مافى النظر من الصحة والفساد... هو المنطق، وقد ألفوا فيه كتبا كثيرة ... ولم يقع فيما اشتهر منها بين الناس شبيه بكتاب «أساس الاقتباس» الذى صنعه الحكيم المحقق والفيلسوف المدقق خاتم الحكماء المتقدمين ومرجع الفضلاء المتأخرين خواجه نصير الدين، جامله الله تعالى يوم الدين، فإنه كتاب فاخر وبحر مواج زاخر، حال بجواهر أفكار المتقدمين والمتأخرين، وخال من شبه المشاغبين وشكوك المبطلين، ولذلك كان حسنه فائقا فى حده، وإن اكتسى لباسا ماكان لائقا بقدره، حيث عبر عن حقائقه الفائقة، ودقائقه الرائقة، بكلام عجمى مهين، دون لسان عربى مبين[1]، ومن ثمة أمرنى من أمره مطاع وخلافه لايستطاع أن أترجمه بألفاظ عربية؛ لأن حظه منها أكثر من حظه من العجمية، مع كمال رسوخه فيهما - وهو السلطان الأعظم والخاقان الأفخم ومولى ملوك العرب والعجم[2] .... السلطان محمد خان ابن السلطان مراد خان بن السلطان محمد خان، فلا جرم ائتمرت بأمره الشريف فكسوت تلك الفوائد الشريفة حلل الألفاظ والعبارات اللطيفة لتجد بها فى نظرة النقاد بهاء، فجاءت بحمد الله كالشجرة المورقة يتفتح منها النوار بل كالشمس المضيئة تتلألأ منها الأنوار، فجعلتها تحفة لجنابه المنيف بل خدمة لبابه الشريف داعيا الله تعالى أن يجعل أمره مطاعا إلى يوم الحشر والنفاذ بحق نبيه محمد وآله الأمجاد وأصحابه الأطواد»[3].

وقد علمنا الصلة الوثيقة بين السلطان الفاتح وأستاذه منلا خسرو العارف باللغة الفارسية[4] فليس بعيدا أن يكل إليه القيام بهذه الترجمة، وقد كان هذا السلطان العالم يقترح على معاصريه أحيانا تأليف الكتب فى موضوعات معينة كما فعل مع علاء الدين الطوسى وخواجه زاده فى الرد على الفلاسفة[5]، ويكلفهم أحيانا أخرى بترجمة عيون المؤلفات فى

---

(١) اعتزاز نبيل بالعربية رغم أنه وسلطانه والمؤلف أعاجم.

(٢) ثم يورد قصيدة فى مدحه يلاحظ أنها لاتحتوى ذكرا صريحا للقسطنطينية اللهم إلا أن يكون قوله إشارة بعيدة لها:

«حاز الممالك فى الآفاق قاطبة ... وفاز بالمطلب الأعلى بهمته»

(٣) ترجمه أساس الاقتباس ل ٢ - ٤.

(٤) انظر العامل العثمانى ص ١٠٢.

(٥) انظر مقدمة كتاب الذخيرة لعلاء الدين الطوسى ص ٧٠٤.

اللغات الشرقية والأوروبية إلى التركية وإلى العربية أيضا [1] حتى كان بعض علماء عصره لا يؤلف كتابا إلا وينقله إلى العربية ثم يهديه إلى الفاتح[2].

على أن الاهتمام بالطوسى فى بلاط الفاتح كان واضحا، فقد ألف المولى على القوشجى وهو من أبرز علماء عصر الفاتح وأقربهم إليه واحدا من أعظم الشروح على كتاب الطوسى «تجريد الكلام» عرف فيما بعد بالشرح الجديد وصار عمدة الدارسين لهذا العلم[3]. كما شرح كتاب القطب الشيرازى «التحفة الشاهية» الذى هو بدوره شرح على كتاب الطوسى الشهير «التذكرة فى علم الهيئة»، بالإضافة إلى عنايته الخاصة بكتاب الطوسى «الزيج الإيلخانى»[4]، وللقاضى خواجه زاده الرومى صاحب المحاكمة بين الفلاسفة والغزالى حاشية على «تحرير أصول إقليدس» للطوسى أيضا[5].

ويوجد على الصفحة الأولى من النسخة الخطية الوحيدة الموجودة بمكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة ما يلى:

ترجمة كتاب أساس الاقتباس فى المنطق للخواجه نصير الدين الطوسى للعلامة «ملا خسرو»، بنفس الخط الذى كتبت به النسخة. ومع اعتبار الملابسات التى أوردناها آنفا لا نجد مايدعونا إلى الشك فى نسبة هذه الترجمة إلى هذا الأستاذ العارف بالفارسية والوثيق الصلة بالفاتح والمشتغل بالعلوم العقلية. ويتبغى أن نذكر هنا أن هذه الترجمة ليست هى الترجمة الوحيدة لهذا الكتاب فقد سبقتها ترجمة أخرى لأحد علماء الفرس من مدرسة الطوسى نفسه إذ كان تلميذا لابن المطهر الحلى أظهر تلاميذ الطوسى من الإثنا عشرية؛ وهو الشيخ ركن الدين محمد بن على الفارسى الجرجانى، وقد قام بتعريب عدة كتب للطوسى عدا أساس الاقتباس «كالفصول النصيرية» و «أوصاف الأشراف» وغيرهما.

وقد أشار الأستاذ رضوى فى مقدمته للنسخة التى نشرتها جامعة طهران لأساس الاقتباس إلى هذه الترجمة القديمة وذكر أنها مفقودة إلى اليوم، ولكنه لم يشر إلى ترجمتنا هذه. كما أشار الخوانسارى فى «روضات الجنات» إلى تلك الترجمة القديمة ونوه بخدمة الجرجانى لتراث الطوسى، وسبقه إلى هذا «السيورى» شارح الفصول النصيرية[6].

ولايمكننا أن نحدد تاريخ قيام المولى خسرو بتلك الترجمة ولكن يبدو أنه بعد فتح القسطنطينية؛ حيث يوجد فى القصيدة التى صدر بها الكتاب فى مدح الفاتح إشارة - وإن لم

---

(١) انظر محمد الفاتح للدكتور الرشيدى ص ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨١.

(٢) انظر محمد الفاتح للدكتور الرشيدى، ص ٢٧٥

(٣) انظر بروكلمان ٥٠٦/١

(٤) انظر تاريخ علم الفلك فى العراق ص ١٠٥ - ١١٣.

(٥) انظر أحوال وآثار ص ٢٠١.

تكن صريحة - إلى هذا الحادث الجليل. على أن الفترة السابقة على الفتح من ولايته كانت من القصر والازدحام بالمهام بحيث يبعد أن يفرغ فيها لمثل هذه المشاغل العلمية.

ويبدو أن المولى خسرو قد اعتمد على أصل قريب جدا من النسخة الأصلية التى اعتمد عليها المحقق رضوى فى نشر نسخته المطبوعة لأساس الاقتباس؛ إذ توجد فيها نصوص تخلو منها سائر النسخ العديدة التى توفرت له ولكنها توجد فى ترجمتنا هذه.

٣- وصف المخطوطة:

ذكـرنا أنها توجد بمكتبة شيخ الإسلام حكمت «بالمدينة المنورة» تحت رقم ٨٩ منطق، وعلى ظاهرها عنوانها على النحو الذى أوردناه وبجواره ختم المكتبة، وفى صفحة البسملة ينوه المترجم بكتاب الطوسى، وأهمية علم المنطق ثم يشير فى (ص٣ ، ٤) إلى تكليف الفاتح إياه بترجمة الكتاب، ويبدأ الترجمة فى صفحة ٤ بالدعاء الذى صدّر به الطوسى كتابه منبها على ما ينبغى أن يتحلى به طلاب الحكمة، وفى ص ٥ توجد ترجمة لمقدمة الطوسى لكتابه التى سبق الاستشهاد بأجزاء منها، ويلى ذلك مباشرة فى نفس الصفحة ترجمة كاملة للكتاب ومقالاته التسع، وتقع تلك الترجمة فى ٤٥١ صفحة (لا لوحة) تنتهى بقول الطوسى فى الصفحة الأخيرة: «وكما وعدنا فى صدر الكتاب بمراعاة الإيجاز[1] آثرنا الإتمام حامدين الملك العلام».

ثم يذكر الناسخ أنه وقع الفراغ منه يوم الأربعاء فى اليوم الخامس من شهر ذى القعدة على يد «مخدوم حصارى بخارى» سنة ١٢٤٤هـ دون أن يشير إلى الأصل الذى نقل عنه أو مكان النسخ وإلى جوار ذلك بيت من الشعر الفارسى يعتذر فيه الناسخ عما عساه وقع فيه من خطأ لانشغاله بحوادث الدهر.

وقد كُتب الكتاب بالخط الفارسى فى شكل دقيق لا يخلو من جمال، ويوجد فى بعض الصفحات ما يدل على أنها روجعت بعد الكتابة إذ يضرب الناسخ على بعض الكلمات أو يصححها فى الهامش أو يكتب الصواب بين السطور كما فى ص ١٩، ٣٧، ٥١، ٣١١، ٣٢١، ٤٦٨، ٤١٨، ٣٦٨ وغيرها من الأصل، ورغم هذا فتوجد مواضع عديدة من السقط رجحنا أنها من فعل النساخ كما سيذكر فيما بعد، مما دعانا إلى استكمالها بمقابلتها بالأصل الفارسى بدلا من إثباتها شوهاء ناقصة، خاصة وأننا لم نعثر - رغم البحث - على نسخ أخرى لهذه الترجمة.

ومسطرة الكتاب تبلغ ٢٣ سطرا فى كل صفحة وفى عديد من صفحات الكتاب يوجد ختم الواقف وفى داخله «وقف حكمة الله بن عصمة الله الحسينى» - وهو ختم صاحب المكتبة

---

(١) انظر أحوال وآثار ص٢٤٩، ومقدمة أساس الاقتباس ص (يب). وروضات الجنات ص٥٨١، ٥٨٢، ومقدمة شرح الفصول للنصيرية ل ١٦ب.